

الأسماء الثنائية في اللغة العربية

دكتور عبد الهادي الفضلي
 استاذ اللغة العربية في كلية الفقه
 (النجف الاشرف)

- 4 - أسماء الإشارة ، امثال : ذا ، ذي ، تا ، تي ،
 ذه ، ته .
- 5 - الأسماء الموصولة ، امثال : ذو (الطائفة) ،
 من ، ما .
- 6 - أسماء الاستفهام ، امثال : من ، ما ، كم .
- 7 - أسماء الشرط ، امثال : من ، ما .
- 8 - الضمائر ، امثال : هو ، هي ، هم ، نا .

وفيما يبدو لي اننا متى حاولنا الكشف عن واقع كل من هذه الطوائف نجد ان أسماء الأفعال منها ، لاتندرج ضمن نوع من أنواع الكلمة لانها أصوات خاصة تعبر عن نوع من الانفعالات الخاصة ، وتلمس ذلك واضحا اننا لاتقولها الا مصحوبة بانفعال تبدو امثله على ملامح وجوهنا .

اما الظروف ، والإشارة والموصولات والاستفهام والشرط والضمائر ، فهي أدوات تستعمل وسائل يتوصل بها الى معان أخرى ، وتبين ذلك من تضمنها معاني حرفية نسبية ، قائمة بين طرفين ، لاتستطيع ان تستقل في اعطائها معانيها الخاصة . فهي - فيما

الأسماء الثنائيات في اللغة العربية - كما ينص هنري فليش - «مقتصرة على سبع وثلاثين كلمة» (1) وقد بحثها المستشرقون وبعض علماء اللغة العربية المحدثين بحثا انتهى بجملة منهم الى ان «القول بالاصل الثنائي ثابت ومقبول» (2) .

غير ان انتهاء اللغويين الاقدمين الى القول بان الأسماء ثلاثية الاصول دعاهم الى ان يقفوا من الأسماء الثنائيات موقفا مضطربا ، فيه شيء من المحاولة التي قد لا تعد ناجحة الى درجتها ضمن الأسماء الثلاثيات ، وغير ما يلمح الى القول بثنائيتها أيضا .

والذي لاحظته اننا نستطيع ان نصرف هذه الى الطوائف التالية :

- 1 - الأسماء العامة ، امثال : يد ، دم ، اخ ، اب ،
 حم ، قم .
- 2 - أسماء الأفعال ، امثال : صه ، مه ، وي .
- 3 - أسماء الظروف ، امثال : اذ ، مع - على
 القول بظرفيتها - .

(1) العربية الفصحى ص 52 (المربة)

(2) دراسات في اللغة ، الدكتور ابراهيم السامرائي ص 161

أراه - ينبغي أن تدرج ضمن الحروف ، لتأخذ مجموعة هذه الأدوات طابعا موحدا في مداليلها ومعانيها .

واللفويون متفقون على ثنائية الاصول في الحرف ، وكذلك الامر في الاصوات . والاختلاف في العمل النحوي أو في مواقعها في الجملة العربية اعرابا وبناء عاملة ومعمولة ، لا يضير في توجيدها من حيث المعنى - بصفتها أدوات - ضمن مجموعة خاصة .

ومن هنا نستطيع أن ننتهي الى ان الاسماء الثنائيات في اللغة العربية تقتصر على ما اسميته بـ (الاسماء العامة) والتي اعني بها ما عدا الأدوات والاصوات .

ولعلماء اللغة العربية حول هذه الامثلة اربان: القول بثنائيتها ، والقول بثلاثيتها .

وقد استدل القائلون بثنائيتها : بوجودها ثنائية في بعض اللغات السامية ، فقد وردت كلمة (فم) ثنائية في اللغة العربية واللغة الاكدية (الاشورية والبابلية) ولغات جنوب الجزيرة والحبشة . . ووردت كلمة (سم) - اسم - وكلمة (دم) وكلمة (يد) ثنائية في اللغة العبرية وفي لغات جنوب الجزيرة والحبشة . . وجاءت كلمة (اخ) ثنائية في اللغة العبرية ، وكلمة (حم) ثنائية في لغات جنوب الجزيرة والحبشة (3) وهكذا .

وانتهوا من هذا ايضا الى انها « ترجع الى اساس لغوي سحيق » (4) ، الى مرحلة تاريخية بدائية ، كانت اللغة العربية فيها ثنائية الاصول ، وقد استطاعت هذه الاسماء ان تفالط التطور فتفلت من تأثيره ، وتحافظ على اصلها الثنائي .

واستدل القائلون بثلاثيتها : باستعمالها ثلاثية عند تصغيرها وتثنيها والنسبة اليها - وهي من المباديء التي ترجع الاسماء الى اصولها - فيقال في يد (يديّة) وفي دم (دمي) ، ويقال في النسب (يدوي) و (دموي) و (ابوي) و (اخوي) ، ويقال في التثنية (فموان) و (يديان) و (دميان) و (دميان) ، واستشهدوا لذلك بالنصوص التالية :

يديان يضاوان عند محجز
قد يمنعانك ان تذل وتقهرا
هما نفسا في في من فمويهما
على التابيح العاوي اشند رجام
فلو انا على حجزر ذبحتنا
جري الدميان بالخبر اليقين (5)

ومن هنا قالوا بأعراب هذه الاسماء لانها ثلاثية فلم تشبه الحرف في الوضع ، وقالوا ببناء ما سواها من الثنائيات لانها اشبهت الحرف بالوضع .

ويبدو ان القول بان الشبه الوضعي عامل من عوامل بناء الاسم لا يقوم على اساس ، وذلك لان الثنائيات المبنية من اسماء الاستفهام والشرط والاشارة والموصولة والضمائر شبهها الحرف قائم في معناها . .

وامثال (مع) و (عل) لا تكون بحاجة الى التكلف في عدها ثلاثية بتقدير حرف ثالث لها لا حجة تدعم وجوده وحذفه .

وربما كان عدم اعتبار مشابهة الاسم الحرف في الوضع عند كثيرين من النحويين هو ما اشرت اليه من مجيء الثنائيات على نوعين من الاستعمال معربة ومبنية بما لا يقوم معه قياس في صوغ قاعدة عامة ، يقول الصبان في حاشيته على شرح الاشموني : « وانما قدم الوضعي مع انكار كثيرين له تقديم الحرفي او اهتماما به لكونه في مظنة المنع » (6) .

على اننا - فيما وقفت عليه - لا نقوى على الاقتصار على شبه الحرف وحده عاملا في بناء الاسم ، وذلك لورود جملة من الاسماء المبنية لا شبه لها بالحرف ، امثال : حذام ونوار وامس وما يجري مجراها .

وقد نذهب الى اكثر من هذا : وهو ان شبه الحرف بصفته عاملا اساسيا في بناء الاسم لديهم وبخاصة الشبه المعنوي ، نراه متخلفا في بعض الامثلة ك بعض مفردات الظروف مثل (مع) ، والظرف من معاني الحروف ، وله من امثله ما هو مبني كاذ . ولعل محاولة بعضهم في ان يوجه اعراب (مع) بمعارضة

(3) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ص 283 - 286 - 291 - 294 .

(4) العربية الفصحى ص 53

(5) مجالس العلماء ، الزجاجي ص 237 - 238 .

(6) ج 1 ص 15

لزومها للاضافة - وهي من خصائص الاسماء -
لشبهها بالحرف ما يشعر بذلك .

وربما كان المنهج الذي ينبغي ان تقام على اساس
منه نتائج بحث مسألة البناء في الاسماء - تمثيا مع
راي النحاة الاقدمين - ان تقسم الاسماء المبنية الى
قياسية وسماعية ، ابوابا ومفردات ، فيقال : أسماء
الشرط واسماء الاستفهام كلها مبنية ، واسماء الإشارة
والاسماء الموصولة كلها مبنية عدا المنسئ منها ..
وهكذا ، المفردات المبنية هي : حذام ، واذا ، .. والنخ .

وفي أمثال يد ودم التي جاءت معربة لا يتساءل
عن علة اعرابها ما دام الوصل في الاسماء والاعراب ،
والشبه الوضعي لا يصلح ان يقوم عامل بنساء .

ومنى حاولنا المقارنة بين هذين المذهبين اللغويين
في الاسماء ذوات الصوتين نجد : ان الاصول الثنائية
اقرب الى طبيعة اللغة بصفتها ظاهرة اجتماعية تتأثر
بعوامل التطور الاجتماعي وتمر بمراحل من البدائية
فالتصاعد الى مرحلة النضج .

ووجود تلك الثنائيات ذوات صوتين في بعض
الساميات أيضا مما يقرب انحدارها من اللغة الاصل ،
وبقاءها متحدية عوامل التطور .

والشواهد على ثلاثيتها التي رواها اللغويون
الاقدمون جاءت شذوذا ، يقول الصبان : « وكذا راعوه

(يعني الاصل الثلاثي) في التثنية على شذوذ فقد
جاء شذوذا بديان ودميان ودموان « (7) ، ويقول
الزجاجي : « وقد قالت العرب على التمام : فموان ،
فجعلوا الميم مكان الواو ، والواو مكان الهاء ، وهذا
غلط منهم » (8) .

ونجد ايضا ان كلمة (يد) وردت في القرآن
الكريم ثنائية في حالة تثنية في ثلاث وثلثين آية .

وفي اب وأخ وحم ، ربما نستطيع ان نثبت
ثنائيتها بقاء استعمالها حتى الآن ثنائية ، وان نذهب
الى ان الثلاثية جاءت نتيجة اشباع الحركات ومدعا ،
وبه نلتقي مع وجهة النظر القائلة بان حروف العلة في
هذه الاسماء علامات اعراب .

على ان القول بان هذه القلة من الاسماء ذوات
اصول ثنائية لا يتنافى مع عد الثلاثية مبدءا عاما
للتأصيل في اللغة العربية ، بعد ان يفهم ان هذه الثنائيات
جاءت شذوذا بتحدية عوامل التطور اللغوي الذي
مرت به العربية في عهود تاريخ حياتها كظاهرة اجتماعية .

وفيه مضافا الى ذلك ما يلقي الضوء على تاريخ
بناء الاسم في اللغة العربية .

واخيرا : هذه محاولة تتطلب كثيرا من الدراسة
الروافية التي قد تنتهي بنا الى نتائج مقبولة ، قمت
بها لاشير الى بعض النقاط المهمة في المسألة .

(7) ص 15 - 16

(8) ص 237